

حماسة البحري

لمسة ادبية للاب لويس شيخو اليسوعي

الحماسة في اللغة الشدة والبأس وفي اصطلاح ارباب الادب مجاميع شعرية صفةً وها كثيراً من منظومات الاقدمين لاسيا التي غلبت عليها المعاني الدالّة على التحسُّس والبسالة في الحروب . وكان ازل من طرق هذا الباب حبيب بن اوس الشاعر الشهير بابي تمام الطائي وضع حماسته في عشرة ابواب اقتتها بالشعر الحماسي فكان لمجموعه من الرواج ما ضاعف شهرته حتى قيل انّ ابا تمام في اختياره للشعر اشعر منه في نظمه له

وذلك ما حدا بغيره من الادباء الى ان يقتصوا آثاره ويجاروه في العمل ويضهوا الجوامع الواسعة التي ضمتها لاجود ما عثروا عليه من اشعار الاقدمين مباشرةً باهل الجاهلية ثم المضمّرين ثم المولّدين . فتمدّدت الحماسات حتى ان الحاج خليفة في كتابه «كشف الظنون» عدّد منها بضع عشر وقد اخنى الدهر على بعضها فاخذتها يد الضياع كحماسة الاعلم الشّتنري (١) التوفّي في اشبيلية سنة ٤٧٦هـ (١٠٨٣م) . وحماسة علي بن الحسن المعروف بشّيم الحليّ (٢) والحماسة العسكرية (٣) وقد نجما بعضها الآخر مع عزة وجودها في خزائن الكتب كحماسة الخالدّيين وهما الاخوان ابو عثمان - ميد وابو بكر محمّد ابنا هاشم اللذان اشترى في خدمة سيف الدولة الحمداني صاحب حلب في القسم الآخر من القرن الرابع للهجرة وحماستها معروفة بالأشياء والنظار منها نسخة في المكتبة الحديويّة (اطلب قائمتها ج ٤ ص ٢٠٢) . وكالحماسة البصريّة في المكتبة عينها (٢٢٩:٤) لصدر الدين علي بن ابي الفرج البصريّ الذي قُتل باسر ملك الممّول هولاندر سنة ٦٥٩هـ (١٢٦١م) بمدان خدم مدّة امير حلب

(١) ذكرها صاحب خزنة الادب ولبّ لبّ لسان العرب بيد القادر البغدادي (ج ١ ص

٥٢٦ وج ٣ ص ١٦٥)

(٢) اطّلب كشف الظنون (طبعة لندن ج ٣ ص ١١٦)

(٣) فيو (٣: ١١٦):

الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ابا المنذر يوسف وحماسته تُضاهي حماسة ابي تمام .
 وكحماسة ابي الحجاج يوسف بن الحنّد البياسي الذي ولد في بيّاس مدينة في الاندلس
 ثم رحل الى تونس حيث توفي سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥ م) وفيها ألّف حماسته التي لم يبقَ
 منها سوى بعض الفصول في احد مخطوطات خزانة غوطا من اعمال اللاتية (Muzug, Goth, 13)
 قال الحاج خليفة (١١٥:٣) انه وضعها في مجلدين وصنّفها في تونس
 في شرّال سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٦ م) جمع فيها ما اختاره واستحسنه من اشعار العرب
 جاهليتها ومحضرها واصلها وولديها - وكحماسة ابي السعادات هبة الله علي الشجري
 العلوي المتوفى سنة ٥٤٢ هـ (١١٥٠ م) وعلى ظننا انها الحماسة المرسومة في مخطوطات
 باريس بالعدد ٦٠٨ تاريخ خطها سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٢ م) كانت في خزانة كتب
 العلامة شير : Blochet : *Catalogue des Mss. Or. de M^r C. Schefer*.
 (p. 45) واسم المؤلف هناك ضياء الدين هبة الله (ابن) علي بن محمّد بن حمزة
 العلوي . قال الحاج خليفة (١١٦:٣) في وصف هذا المجلد « هو كتاب غريب
 احسن فيه . ذكره ابن خلكان »

على انه ليس بين هذه البقايا الشريفة السالمة من تيار الزمان ما يستحقّ ذكرًا
 كحماسة ابي عبادة الوليد بن عُبيد الشهيد بالبحتري . فانه اذ رأى ما ناله مصيفه وقرنه
 ابوتام من السّنة الطيبة بتأليفه للحماسة قصد تجاراته فوضع لوزير الخليفة المتوكل
 الفتح بن حاقان حماسة عارض فيها حماسة حبيب بن اوس . وقد ذكر ابن خلكان حماسة
 البحتري في تأييف هذا الشاعر في ترجمته . وكذلك ورد ذكرها في كشف الظنون للحاج
 خليفة في باب الحماسات . الا ان ذلك التأليف مع حسنه كما سترى كاد يتلف في
 جملة ما طُلس من آثار الادهار لولا همة احد المستشرقين الهولنديين ل . فُورز
 (L. Warner) الذي عثر في القرن السابع عشر على نسخة منه في الاستانة فابتاعها
 وارسلها لتودع في خزانة دولك في ليدن حيث ترمى اليوم في جملة مخطوطاتها السنية
 وهي كواسطة تلادتها , 2^o , de Goeje et Houtsma: *Cat. Cod. Arab. ed.*
 (p. 385) وهذه النسخة راقية كما يظهر من ورقها وجبرها وخطها الى القرن الخامس
 عشر للميلاد وهي مُتمّنة جداً حلي وجهها الاذل بالذهب والنقوش وذلك « يرسم
 الحزاة العميدية العاروية الأجبّية الفخرية » كما ورد في مقدمتها اشارة الى احد الامراء .

المالِك في مصر متن لم يصرح باسمه . وقد كُتبت هذه النسخة بخط نسخي جلي
 محكم على ورقٍ صفيق وضبط تم منها بالشكل . وهي في ١٠٠ صفحة وفي كل
 صفحة ١٥ سطراً

وقد امتازت هذه الحماسة بدهة امردها . منها وفرة ابوابها فان البحتري جعلها ١٧٤
 باباً ضمها معظم المعاني الادبية التي دارت على السنة شعراء العرب
 ومنها ايضاً عدد الشعراء الذين رويت عنهم بعض اقوالهم فانهم يبعثون نحو
 الستائة اكثرهم من شعراء الجاهلية والمخضرمين . ولم يذكر الجامع من عهد العباسيين
 سوى ثلثين اخضهم صالح بن عبد القدوس . وكفى بذلك دليلاً على سمعة
 محفوظات البحتري للشعر القديم .

ومنها ايضاً حسن الاختيار . فانك في هذا المجموع الواسع لا تكاد تجد بيتاً
 واحداً يعجزه الذوق السام . فان البحتري يارح في كل شذرة منه قأداً صحيحاً للشعر
 بصيراً بجوانبه

ويلحق بهذه الصفات مزية أخرى يعرف ارباب الادب فضلها تزيد بها تحاشي
 صاحب الاختيار في مجموعه لكل معنى بذى تنبو عنه الالمام ولكل لفظة تمس آداب
 الشيبية . ولعل هذا المجموع هو الوحيد الذي يجلو من كل مجون . بل لا ترى فيه اثرأ
 للنسب والنزول فيتحلح لأن تتداوله احداث المكاتب دون الخطر على آدابهم وان
 يودي به ارباب المدارس . فانه احسن كتاب مدرسي يودعونه في ايدي الطلبة

هذه بعض صفات البحتري وقد اخذنا العجب ان المستشرقين لم يكونوا بهد نشرورا
 هذا الاثر النفيس واهلهم كانوا فامارا لوروقها على نسخة ثانية منه ليعرضه عليها
 ويصلحوا . اوقع فيه من الاغلاط

ولما كنا في هولندا سنة ١٨٩٢ اطلعنا على هذا الكتاب فبنتنا حماسه وأسرعنا
 الى نسخه مع قلة الوقت الذي كنا نستطيع ان نصرهه هناك فأمكننا ان نبقله بسبعة
 أيام فقط . وكنا تصدنا نشره سابقاً لولا تراكم الاشغال حتى الح علينا بعض الاصحاب
 فاجبنا الى ملتصهم وباشرنا بطبع هذه الحماسة في العام الماضي سنة ١٩٠٩ في
 مجموع آثار مكتبنا الشرقي (Mélanges de la Faculté Orientale) فظهر منها
 اكثر من نصفها ثم انجزنا العمل في هذه السنة وألقناه بههرس واسع للشعراء المذكورين

في الكتاب على ترتيب حروف المعجم مع ايزاد ما قاله كل شاعر من الابيات في كل بحر وقافية. ثم عدنا فطبعتنا الكتاب على حدة طبعة مستقلة لافادة الادباء. واذا كنا على وشك النجاز ونحن نشغل في حواشي الكتاب وبيان روايات وتذييله بالمحفوظات اذ بانتنا نسخة منه مرسومة بالتصوير الشمسي على اجود منوال وابدع مثال هيئة اساتذة ليدن مع فهرسين للاعلام والترواني على طريقة غير الطريقة التي اتبناها. وهذه الطبعة متقنة جداً مرسومة على ورق مصقول غاية في الصفاة والحسن فكان الحاصل عليها يحصل على النسخة الام بل اني الرسم اجود من الاصل لكثرة العناية بها ونحن قد اثبتنا هنا صفحة من هذه النسخة تشويهاً بجاسنها كما اننا نشكر الشكر الحميم كل من تولى هذا العمل وخصوصاً لجنة ادباء ليدن الذين خدروا بهذه التحفة تسمياً من تركة قعيد الآداب الشرقية دي غري (Fondation de Goeje) ثم نثني ايضاً على هيئة العالمين صاحبي النهسين د. س. مرجليوت (D. S. Margot) (R. Geyer) فالحق يقال ان هذه الطبعة طرقة من طرف الدهر فلا نتعجب بعد هذا ان ملتزمي طبعتها جعلوا ثمنها مائتي فرنك. وقد جاءت هذه النسخة في ارفع فرصة لتساعدنا على تأليف ذيل طبعتنا وعلى الاخص اصلاح بعض اغلاط وقعت في نسختنا التي اضطررنا كما قلنا ضيق الوقت الى ان نسرع فيها غاية السرعة وكذلك لعين السبب كنا سووناً عن نسخ ابيات قليلة فاهكنا اثباتها في الذيل بعد المقابلة مع الاصل

وتما استفدنا ايضاً من هذه الطبعة الرسومة بالتصوير الشمسي اننا نفعنا كثيراً من الاغلاط الواهمة في النسخة الام فاننا نسخها مع اتقانه لما لم يحسن ضبط الناظر منها بل روى بعض ما اكن بالناظر فاشرفنا الى ذلك في ذيل طبعتنا وجعلنا هذا الذيل على شكلين شكل منه اودعناه اصل الحماسة البحريّة مع فهارس الاعلام والقرواني واصلاح الاغلاط مع بعض ملحوظات قريبة التال وهو الذي نشرناه لافادة الشرقيين خصوصاً الذين لا تهتمهم الملحوظات العامية والروايات وجعلنا ثمنه ١٥ فرنكاً

أما الشكل الثاني فتذييله اطول يبلغ المائة صفحة ويحتوي على روايات كل عدد وما ورد فيه من الابيات في كتب الادب على ما اعتاده المستشرقون في طبعتهم

الانتقادية مع المحرقات اللزوية والتاريخية وما قد نجز ايضا طبع هذه النسخة التي قصدنا فيها خدمة المستشرقين لتعرض في مكاتب العلماء والحرائن المرمية . وجعلنا من هذه الطبعة الثانية ٢٥ فريكا الأ الذين سبقوا فاكثروا على نسخة او أكثر منها . وفي الختام نشئنا ان يبحث ادباء الشرق على نسخة ثانية من هذه الحلة للمقابلة ولإصلاح ما طرأ على نسخة لندن من الشوائب . ونشكر كل من آزرنا في العمل من الرهبان اخرتنا

البرتقال : زراعتُ وافاتُ

للسيو ارغت جوفروا الفرنسي تريبل يدوت (تابع)

﴿ هوام البرتقال ﴾ يتهدد البرتقال آفة عظيمة ألا وهي عدو هوام صغيرة دقيقة لا تكاد تبصرها العين إلا أنها كثيرة الشر فتعامل على شجره وإذا تسلطت على أنصافها ازدادت بمد قليل حتى أنها تشمل كل أقسامها وفروعها واوراقها وثمارها فتنتك بها فتكاً ذريماً وتُتلفها بعد زمن وجيز ما لم يتلافوا شرها . وللبرتقال اعداء غير هذه الهوام كحشرات مختلفة تسري اليها وتُجلب بها الاضرار . وقد سبق القول ان تقضيب الشجرة وقطع اغصانها غير النافعة لماً يزيد قوتها على دفع تلك الهوام بما يدخل في اعطاف الشجرة من النور المحي والمواد الناشف وكلاهما دواء ناجع ضد الهوام والحشرات ولذلك يختار الامر كيون لزراعة البرتقال الامكنة المكشوفة للنور والرياح كالقفل المرتفعة المعرضة للشمس اليابسة الهواء ولا يدعون اغصانها تتكاثف ليجري بينها الهواء . وقد لاحظوا ان الزروع التي على هذه الشاكلة كثيرة الجدوى وافرة الحاصل بخلاف الاشجار التي تكون في الامكنة الرطبة او الكثيرة الرطوبة على شواطئ الانهار وسواحل البحر فانها تكون عرضاً للآفات التي اشترنا اليها

﴿ بيان الاضرار التي تلحقها الهوام بالبرتقال ﴾ اضرارها على نوعين فالضرر لأول أنها تمتص مائة الشجرة كما تحب الطالبة الماء من العين لأن لهذه الهوام الصغيرة أجهزة طبيعية تمكنها من الشجرة اخضها فوهتها المتطية التي هي كغرز تنفذ في انسجة الشجرة او قشرتها او وردةها او ثمرها فتنتف فيه نوعاً من السم الذي